بسم الله الرحمن الرحيم

**التغريب**

لقد ابتلي الدين الإسلامي بمحن عظيمة في سبيل الحفاظ على العقيدة الإسلامية من الهجمات التي توجه ضدها يقول تعالى: {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} وما يزال الصراع بين الحق والباطل قائم الى قيام الساعة يقول تعالى: {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب} ومن أكثر الهجمات التي واجهت الدين الإسلامي ولها أثر واسع وعميق في أوساط المجتمعات الإسلامية هجمة التغريب التي هي من خطط أعداء الإسلام التي كانت على المدى البعيد وطبقوها، وكان لهم أعوان في تنفيذها من أبناء المسلمين ومثقفيهم من أدباء ومتعلمين.. إلخ ودونك ها هنا موجز عن هذه الوسيلة التي يستخدمها المنصرون.

- **معنى التغريب**: هو إخراج المسلمين من مقومات فكرهم وأهمها مقومات الإسلام، ثم إخراج الإسلام من مقوماته أيضا، وذلك بتفسيره تفسيرًا يقضي على قيمته الأساسية، ويجعله ديناً تعبدياً خالصاً ليس له صلة بالمجتمع والإنسان، وليس لهذا من هدف إلا إبعاد الإسلام كنظام مجتمع، وعامل حضاري وثقافي مؤثر عن فاعليته مع المجتمع والسياسة والاقتصاد والتربية والتعليم، وتركز حركات التغريب على الأمة المسلمة خاصة تمهيداً لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية وإيجاد روابط مشتركة بين الإسلام والغرب بشكل يخدم أهدافهم.

**- مسميات للتغريب ومرادفات** له: قد يطلق على التغريب عدة مصطلحات بهدف تجميله وفتنة الآخرين به مثل: المدنية، التطور والتقدم، الحضارة، الحياة الجديدة، التغيير الاجتماعي، التحديث والتنوير.

**- أهداف التغريب:** صرف المسلمين عن عقيدتهم من خلال السياسة فمن المعلوم لكل مسلم يعرف دين الله أن الإسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة، أخلاق وقيم، فدأب أعداء الإسلام بكل قواهم على فصل الدين عن الدولة وذلك بعدة أمور وهي:

1- القضاء على الوحدة الإسلامية.

2- تقسيم الدولة الإسلامية إلى دول.

3- استيراد النظم والمبادئ من الغرب، وسن القوانين الوضعية .

4- إبراز الزعامات العلمانية.

وكذلك من أهدافهم تحريف التاريخ الإسلامي، وتشويه مبادئ الإسلام وثقافته، وانتقاص الدور الذي قامت به الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي بقصد إيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين يحقق قبول ذهنية لحضارة الغرب وثقافته ومن ثم الخضوع لها، كما يغرس مبادئ غربية في نفوس المسلمين حتى ينشئوا مستغربين في حياتهم، وبعيدين عن موازين القيم الإسلامية.

ومما يدل على هذه الأهداف نصوص لقادتهم في هذا الغزو الفكري، يقول كانتل سميث: (إن الغرب يوجه كل أسلحته: الحربية، والعلمية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية إلى العالم الإسلامي بغرض إذلاله وتحقيره، وإشعاره بالضآلة والانحطاط، وأن الغرب وقف في صف الصهيونية ضد العرب المسلمين متأثراً بتلك العداوة القديمة بين المسيحية والإسلام).

ويقول أيضاً لويس ماسنيون: (إن هؤلاء الطلاب المسلمين المغاربة الذين يصلون إلى فرنسا يجب أن يصاغوا صياغة غربية خالصة حتى يكونوا أعواناً لنا في بلادهم) .

وغير ذلك من نصوص مفكري الغرب وأساطينه التي تؤكد لنا مدى تحالف أعداء الدين وسعيهم الجاد لإفساد عقيدة المسلمين.

**- أبرز مؤسسي التغريب وشخصياته:** قد سعت شخصيات عديدة وبارة في هذا الغزو الفكري ولو تتبعناهم وأحصيناهم هنا لطال بنا المقام ولكن يشار إلى أبرز هذه الشخصيات التي وضعت حجر الأساس لتغريب العالم الإسلامي على جميع الأصعدة منهم:

-المستشرقون حيثُ قاموا بإرسال بعثات الى البلاد الأوربية للتدريس واستقدموا خبراء غربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة.

-وكذلك أمر السلطان محمود الثاني باتخاذ الزي الأوربي للعسكريين والمدنيين.

- واستقدم السلطان سليم الثالث المهندسين من أوربا لإنشاء المدارس الحربية والبحرية.

- وقام محمد علي والي مصر ببناء جيش على النظام الأوربي وابتعث طلاب الأزهر للتخصص إلى أوربا.

- وكذلك من الأدباء رفاعة الطهطاوي وناصيف اليازجي وابنه إبراهيم، وجورجي زيدان الذي أنشأ مجلة الهلال وكان على صلة بالمبعوثين الأمريكان وتلاه سليم تقلا أسس صحيفة الأهرام وقد تلقى علومه بمدرسة بلبنان أسسها مبشر أمريكي، وجاء من بعدهم جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده فأنشأ مجلة العروة الوثقى وقد قاد محمد عبده وقاسم أمين دعوة تحرير المرأة، وجاء من بعدهم آخرون كان لهم دور كبير في إفساد العقيدة الإسلامية وصبغتها بالصبغة الغربية، أمثال سعد زغلول وطه حسين وغيرهم من الأسماء البارزة في هذا المجال.

**- بداية التغريب وصوره**: - يبدأ التغريب -التغيير الاجتماعي- أولاً في أدنى مظاهر الحياة الاجتماعية، كالأكل والشراب، وفي آداب التحية والوداع أو التحية بغير تحية الإسلام المعروفة -السلام عليكم ورحمة الله وبركاته- ثم الانتقال إلى كبائر المحرمات كشرب الخمر والرقص والسفور والتبرج والمتابعة المسعورة للموضات الغربية.

- ثم يبدأ التغريب بمخاطبة فكر الأمة المسلمة وعقيدتها، عن طريق المأجورين والعملاء من الداخل، ثم يجري داخل العقول والقلوب، وأخيراً ينتقل إلى الأخلاق والتقاليد والعادات الاجتماعية والسلوكية.

- تعتمد خطة التغريب وسائل الإقناع المختلفة، وهي وسائل مدروسة ومخطط لها تخطيطاً علمياً، يشرف عليه علماء النفس والاجتماع، وأجهزة المخابرات، ورجال الإحصاء.

- تستفيد خطة التغريب في إحداث التغيير الاجتماعي من جهود المبشرين، وأعمال المستشرقين، وجهود العلمانيين اللادينيين من أبناء المسلمين.

- إن خطة التغريب تشمل كل نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية، وليست قاصرة على ناحية أو جانب واحد، كي يصبح أبناء المسلمين غربيين في كل مظاهر الحياة، تشمل آداب الطعام والشراب، وآداب اللباس والزينة، ومجال البناء والتعمير، كما تشمل مجال التربية والأخلاق.

- استخدام الشعارات والمصطلحات والعبارات التي تثير العواطف، كالتطور والتقدم والمدنية والرفاهية والحضارة، مع عدم الاصطدام بالمشاعر والأحاسيس، واستخدام مصطلح التقاليد والعادات الموروثة القديمة للدلالة على الأحكام الشرعية التي يجب تركها وعدم التقيد بها بزعمهم.

**-الأسباب التي أدت إلى التغريب:-**

1- وقـوع البـلاد الإسـلاميـة تحـت سـيطرة الغربييـن فتـرة طويلـة، ومحاولـة الاســتعمار الأوربي إحداث التغريب بكل ما يملك من إمكانيات، كما فعلت فرنسا في كل من الجزائر وسوريا ولبنان.

2- تولية الاستعمار الغربي أبناء النصارى والمنافقين من أبناء المسلمين المراكز والمناصب المهمة ذات التأثير في حياتهم.

3- الضعف السياسي الذي أصاب المسلمين بعد رحيل عساكر الاحتلال، وفقدان المسلمين الثقة بأنفسهم وبما عندهم، ولقد وجد أصحاب هذا الدين الإسلامي وأتباعه أنفسهم مبهورين بزخرف القول وحلاوة المنطق الذي صبغ الغزو الفكري العقائدي.

4- تخلّف العلوم الإسلامية، وجمود المنهج الدراسي على خطه القديم، ووقوف الفكر الإسلامي عن التجديد والابتكار، ومعالجة شئون العصر.

5- أخذ المجتمعات الإسلامية بنظم التعليم الغربية، ففي مصر فرض اللورد كرومر المعتمد البريطاني وبمساعدة من القس دنلوب منهج التعليم والتربية الغربي على الدارسين، ولقد بقي هذا المنهج سائداً فيها حتى يومنا هذا، وقد تأثرت به كثير من البلدان العربية.

6- جهل معظم المسلمين بحقائق الإسلام ومفاهيمه، وقلة الدعاة المخلصين الذين يقومون بواجبهم تجاه هذا الدين وأهله.

**- بعض الحلول لمواجهة التغريب:**

يعتبر التغريب من أبرز وأقوى التحديات والمخاطر التي تواجه الدعوة الإسلامية ومواجهته ضرورة حتمية للحفاظ على العقيدة الإسلامية وفي هذه الفقرة ذِكْرٌ لأهم الحلول في مواجهة التغريب وليس المقصود بالمواجهة مجرد الرد والنقد فالبناء يعد من أهم عناصر المواجهة ومن هذه الحلول هي:

**أولاً:** إيجاد (مرصد فكري) يقوم برصد الاتجاهات الفكرية ويستعمل الآليات الحديثة ويقوم على أسس علمية دقيقة في الرصد والتحليل، ويخرج عنه تقرير سنوي يبيّن الحجم الحقيقي للتيارات الفكرية المناهضة لمنهج أهل السنة.

**ثانياً:** توجيه طلاب الدراسات العليا للكتابة حول الاتجاهات الفكرية المعاصرة لاسيما أهل الاختصاص في العقيدة أو الأصول، ومناقشة الأفكار الجديدة بمنهج علمي رصين ودراسة اتجاهات التجديد في مناهج الاستدلال، والتعامل مع النص الشرعي، وإبراز علم الأصول كعلم معياري يضبط التلاعب في النصوص وإلغائها بالتأويلات الفاسدة.

**ثالثاً:** إقامة مراكز دراسات متخصصة في الفكر والثقافة لبناء فكر معاصر صحيح يوافق النصوص الشرعية، وتقويمه على أصول أهل السنة الجماعة.

**رابعاً:** إقامة منتديات فكرية في المدن الرئيسية تستقطب الشباب المهتمين بهذا الشأن، وقيام طلبة العلم المتخصصين عليها، وتهدف للحوار والمناقشة للأفكار المعاصرة.

**خامساً:** تأليف كتاب جماعي يُجِيبُ على كافة الأسئلة المطروحة في الساحة حول القضايا الفكرية يُكتب بمنهج علمي قوي، ويوضح الموقف السلفي حولها ثم تسويقه وتدريسه والدعاية له.

**سادساً:** تنمية روح الاحتساب في المجتمع، والتدريب عليه وعقد الدورات التأهيليّة فيه، وتطوير العمل المؤسسي الرسمي وإقامة مكاتب متخصصة فيه والعمل على تطبيعه في المجتمع وتوسيع نطاقه إلى أعلى المستويات وإخراج الطاقات الاحتسابية المنضبطة والمسئولة.

**سابعاً:** إبراز دور العلماء وإقامة المكاتب الخاصة لترتيب أعمالهم، وربط العلاقات الاجتماعية بينهم وبين سائر شرائح المجتمع، وترتيب اللقاءات الدورية لهم.

**ثامناً:** تحرير المصطلحات الفكرية وبيان غموضها وإظهار المعاني الصحيحة من المعاني الفاسدة في مدلولها وتحذير المجتمع منها والتذكير بجناية المصطلحات الكلامية والفلسفية على الأمة.

**تاسعاً:** ضرورة استثمار الشبكة العالمية (الانترنت) وإقامة رابطة تنسيقية بين المواقع الإسلامية، وتبني كل موقع مجموعة من طلبة العلم المتخصصين لمناقشة ورصد جانب من الأفكار المعاصرة، وهي أسهل نافذة إعلامية يمكن العمل عليها.

**عاشراً:** توسيع الدعوة في صفوف النساء لأن إفساد المرأة جزء مركزي في المشروع التغريـبي ومواجهته تقتضي العمل على بناء المرأة المسلمة علمياً ودعوياً وفكرياً.

**حادي عشر:** محاصرة الاتجاه التغريبي من خلال الرصد والمتابعة الدقيقة، والفضح والكشف لخططه وأساليبه، ومواجهة القائمين على مؤسساته بمخالفاتهم الشرعية والآثار السلوكية والأمنية والاجتماعية المترتبة عليها.

وتبين لنا مما سبق مدى عظم هذه الهجمة الغربية وكبير أثرها على أبناء الأمة ومجتمعاتها، وهنا يكمن دور أبناء هذا الدين للتصدي لتلك الهجمات بالعلم الصحيح والحجة الحق والعمل بما أمر الله والدعوة إليه للحفاظ على العقيدة الإسلامية من كيد أعداءها.

أبرم الله لهذه الأمة أمرًا رشيدًا يعز فيه وليه ويذل فيه عدوه ويعمل فيه بطاعته وينهى عن معصيته

وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.